خوسيه إميليو باتشيكو (المكسيك)

احتفـــال الجـــرأة

مكـــافـــأة

لسائق الطكسي أو أي إنسان يخبر عن مكان السيد **اندريس كنطانا** الذي توجد صورته في الهامش والذي فُقد يوم الثلاثاء 5 في الطريق من أبنيدا خواريث الى شوارع طونالا في كولونيا روما حوالي الـ 23 و 30 دقيقة، ولا يُعرف مكانه حتى هذا التاريخ، أي خبر الى التلفونين التاليين :

03 ــ 92 ــ 511 و 50 ــ 12 ــ 533

احتفـــال الجـــرأة

قصة لأندريس كنطانا

الأرض تبدو صاعدة، حقول الرز تخفق في الهواء، تكبر الأشجار المأكولة بفعل مسقطات الاوراق، تحت الدوي المتراكز للمروحة يهبط الهلكبتير عموديا، خمسة عشر هلكبتيرا أخرى تحط في القرب، وأنت تفقز بالرشيشة في يديك، تطلق النار وتأمر باطلاق النار على كل شيء، على كل شيء متحرك وحتى على اللا متحرك، لن يبقى خيزران على خيزران، لن يبقى أي ناج من المجزرة، لن يكون هناك شهود على ما كان قبل ذلك قرية،

اليد، الرصاصة، السكين، الحربة، قاذفة اللهب، القنبلة، الكُرنافة، كل شيء صار أداة موت، ولما ترجعون الى الهلكبتيرات تحس أنت يا نقيب كيلير، بطمأنينة من أدى الواجب، وسط الحطام تحترق جثث شيوخ وأطفال ونساء اغتُصبن وعُذبن، لم يكن يوجد أي ثائر في القرية أو، كما تقول انت، جميع السكان كانوا ثوارا، الاجسام المقطوعة المحروقة المحطمة تعرف سير عملية التعفن بينما أنتم تطيرون عائدين بلا خسائر في الارواح، بإحساس مضاد لتقزز وفظاعة المعارك الاولى،

ما أبعدك الآن عن كل ذلك يا نقيب كيلير، وأنت، بأجرة محارب قديم، بقميص أخضر، بـ Rolleiflex [1] بغليون سيليكاتي، تصغي إلى شروح الفتاة التي تصف بالانجليزية كيف عثر على قبر «معبد الكلام المنقوش»، أنت موجود في «قاعة المايا» بـ «متحف تكلم مع «الأشغال العمومية» ليعتذر على غيابه أمام رئيس المصلحة. قام ببعض

الأنثروبولوجيا»، بعيدا آلاف الكيلومترات عن ذلك الجحيم الذي ساهمْتَ في إشعاله لكي يسمم العالم كله،

أنت تتأمل كل شيء بالتعجب الواجب والاعجاب السهل لمن يزور متحفا هو جزء من خط سير لا بد منه، في الواقع لم يؤثر فيك أي شيء، أحسن التحف كنت قد رأيتها في مثيلات لها من صنع مقلدين، طبعا، في القرب هي مختلفة، ولكن على كل حال لا تجعلك تتأثر كثيرا بقايا عالم أبيد على يد امبراطورية كانت لا تقل قوة عن امبراطوريتك يا نقيب كيلير،

ولكنهم يخرجون، يقطعون الفناء، الريح تجيء بنقط ماء من الفَسْقِيَّة، يدخلون قاعة ميشيكا، هنا، تقول المرشدة، هنا بقي كل ما نجا من تدمير مكسيكو ــ طينو شتيتلان، نسبة مئوية صغيرة فقط مما يقدر أن يكون أنتجه الفنانون الاستيكيون، العنف الا متحرك للتماثيل يفجر فيك ردا لم تقدر على أن تقلعه منك الرقة والزخرفة الغزيرة لفن المايا،

يبرز فجأة الحجر الشرس الذي ركز فيه نحات، كمن يحجر فكرة متسلطة على عقله، الصورة المقدسة لكوواليكووي، أنت تبقى ممغنطا من طرفها، ممغنطا ليس هناك كلمة أخرى، توقف Tours الخميس والجمعة والسبت لترجع كل صباح الى المتحف، وتجلس هناك قبالة الاهة سماء جهنمية وتتعرف فيها على شيء عرفته دائما بالبداهة يا نقيب،

الحاحك الشديد على المجيء أيقظ الشكوك بين الحراس، ولتبرر سلوكك، لتستر افتتانك الشاذ، شريت دفترا وبدأت ترسم كوواطليكووي بجميع تفاصيلها، أنت الذي ما وضعْتَ على ورق أبسط رسم منذ أن غادرت الـ High school ،

نهار الأحد ستظهر بداية مقاومة، عوض أن ترجع الى المتحف ستقضي الصباح في الاسواق وفي المساء تقيد نفسك في النزهة «احتفال الجرأة» مع اصدقاء الـ Tours الأخرى الذين يسألونك لماذا ما كنت معهم في كسوشيميلكو وبوبيلا وتيوتيواكان، أين كنت مختبئا هذه الأيام،

ستُجيب، أنا أرسم أحسن التحف، وهم لماذا يمكنك أن تشري كتبا، صورا، Slides (2)، تقليدات مصغرة، تستمرون في الكلام، وعند الوصول الى «مصطرع مكسيكو»، ينطلق صوت النفير، يظهر في الحلبة المصارعون وفرقهم، يخرج الثور الاول، يصارعونه بالقماش الاحمر، ينخسونه بالرمح، يطعنونه بالمناخس ويقتلونه، يظهر الثاني، أنت يهولك المنظر، يا لوحشية المكسيكيين، كيف يعذبون الحيوانات هكذا، يالهذه البلاد، هذا يفسر تأخرهم، فقرهم خضوعهم، عدوانيتهم، تخرج من إحتفال الجرأة، ترجع الى المتحف، تعود الى تأمل الالاهة، الى الاستمرار في رسمها مغتنما الوقت القليل الذي ستبقى فيه القاعة مفتوحة لا تزال،

يسدون الابواب، أنت تقطع الشارع وتنتظر طكسيا على رصيف البحيرة، الرجل الذي يبيع المثلوجات يدفع عربته النحاسية، يقترب ويقول، يا سيد، عفوا، أنتم يهمكم كثيرا كل ما هو استيكي أليس كذلك ؟ أتريدون أن تروا شيئا لن تنسوه أبدا ؟ لا تخافوا، لن يكلفكم ثنطابوا واحدا، أنت باسبانيتك التي تخرج بصعوبة ترد، ماهو، أي شيء هو،

لا أستطيع أن أقول لكم الآن يا سيد، لكن أنا متأكد أن ذلك سيهمكم، كل ما يجب عليكم أن تعملوه هو أن تركبوا في آخر عربة لآخر مترو الليل يوم الثلاثاء في محطة انسورخينطيس، المترو سيتوقف بين «ايساييل لا كاطوليكا» «وبينو سواريث»، انزلوا وسيروا في النفق نحو الشرق حتى تجدوا ضوءا أخضر، هناك سأكون أنتظركم،

البائع سيوقف طكسيا، سيقول له اسم فندقك، ويكاد يدفعك الى داخل السيارة، في الطريق فكرت أن ذلك كان مزاحا، لعبة مكسيكية بليدة للضحك على السياح، بعد ذلك ستغير رأيك يا نقيب كيلير،

ويوم الثلاثاء ليلا ستكون في إنسور خينطيس، بقميص أخضر، بـ Rolleiflex، بغليون سيليكاني، منتظرا أن تعلن مكبرات الصوت الرحلة الاخيرة، ثم ستطلع في العربة الأخيرة مع عاملين أو ثلاثة يرجعون الى ديارهم في ثيوداد نيثاو الكويوتل، سترى مرور المحطات، سيتوقف المترو، ستنزل أنت في منتصف النفق أمام مفاجأة الراكبين، ستسير نحو الضوء الوحيد الذي ما زال مشعولا بعد مرور المترو، الضوء الاخضر، القميص الاصفر اللامع الطيفي تحت الضوء الاخضر، الرجل الذي يبيع المثلوجات قبالة المتحف،

الآن أنتما الاثنين تتوغلان عبر الممر الحجري الذي يدفع الرشْحُ ورائحة الوحل الى الاستنتاج أنه فتح في قاع البحيرة الميتة التي تقوم عليها المدينة، أنت تجعل Flash واحدا في كاميرتك، الرجل يمنعك من ذلك، لا، لا تضيع صورك، قريبا ستجد أشياء كثيرة للتصوير،

يضاء الممر بمشاعل من خشب عطر، أنت تسأل عن اسمه، يجيبك، أو كوطي، ثم تستفهم لماذا جئت بي الى هنا ؟، لترى «الحجر المرسوم عليه»، أعظم تمثال استيكي، ذاك الذي يحيي ذكرى انتصارات أو يثوطل ولم يستطيعوا العثور عليه اثناء حفر المترو، أنت ستكون أول انسان ابيض يراه منذ دفنه الاسبانيون في الوحل حتى لا يُذَكّر المغلوبين بعظمة ماضيهم، لكي يخضعوا تماما لحديد الوسم وللسوط وللاعمال الشاقة، لكي يفقدوا ذاكرتهم وفخرهم بأرضهم واحترامهم لأنفسهم ويمكن أن يُحَوَّلوا الى بهائم للعمل وحمل الاثقال،

يفاجئك كلام الرجل، ولو أنك لا تفهمه تماما يا نقيب كيلير، عينا مخاطبك كأنهما تلمعان في نصف الظليل، أنت رأيتهما من قبل، أين، عينان منحرفتان ولكن بشكل آخر، «العالم الجديد» أسيوي أيضا، لكنك لست خائفا، المسدس الاتماتيكي يربض في جيبك،

أنت تتوقع أن ترى مدينة تحأرضية تكون صورة طبق الاصل تماما للطينو شتيتلان التي تظهر في النماذج المصغرة للمتحف، لاترى شيئا من ذلك، ترى فقط، من حين لحين، قطع ردم، قطع معابد ومساكن أستيكية استعملت قبل اربعة قرون كأساس وحشو للعاصمة الاسبانية الجديدة،

رائحة الْوَحَل تمسي أقوى، أنت تبدأ تعطس، زكمتك الرطوبة، تقول لمرافقك، سأذهب من هنا، إسْتَأْذَنَ، سنصل الآن، تلح متهجيا تقريبا، أريد أن أخرج من هنا الان، تعطي أوامر، من هو دونك يجب أن يطيعها، والآخر يجاوب فعلا، الآن سنصل الى مخرج،

بعد نحو خمسين أو ستين خطوة يريك بابا، يفتحها وتَفَضَّلْ، يقول، وأنت تدخل بلا تردد، بعد ثانية تجد نفسك محبوسا في غرفة بلا اضاءة ولا تهوية الا التي تحدثها فتحة ذات شكل مطلسم، أهي غليفو الريح ؟ أهي غليفو الموت ؟،

الأرض هنا، عكس النفق، ثابتة مستوية، وفي ركن هناك حصيرة، أنت تستلقي عليها ولكن لا تنام، تخرج المسدس، تصوبه نحو الباب، كل شيء لا واقعي جدا، يبدو لا منطقيا جدا، الى درجة أنك لا تتمكن من ترتيب الاحاسيس التي تلقيتها،

لكن ينومك التعب، رائحة الوحل، ايقاع احاديث بعيده بلغة مجهولة، الخطوات في الممر الرطب التحأرضي، لما تفتح عينيك أخيرا تفهم، البارح كان يجب عليك ألا تتعشى تلك الاكلة المكسيكية الفظيعة، حلمت حلما بليدا كاد أن يتحول الى كابوس، كيف يمكن للا شعور أن ينهب ما هو واقع، المترو، بائع المثلوجات، المتحف، ويُعْطيه نظاما أو لا نظاما مختلفا،

ياللراحة وقد وجدت نفسك مفيقا في هذه الغرفة بالهولياداي أين، أتكون قد صرخت أثناء الحلم ؟ لحسن الحظ أنه لم يكن الحلم الآخر، المتسلط على عقلك، حلم الفيتناميين الخارجين من القبور في نفس الحالة التي تركتهم أنت عليها ولكن بعد أن سوَّاها العفن، لحسن الحظ،

تسأل نفسك كم الساعة، تمديدك، اليد تتحرك في الفراغ محاولة الوصول الى اللمبة، ليستْ هناك، الطاولة أخذوها، أنت تقوم لتنير الضوء الوسطي للغرفة،

حينئذ يقتحم الزنزانة الرجال الذين يأخذونك الى الحجر الدائري المحدد الكبير في أحد المعابد التوأمة، يفتحون صدرك بجرح، يقلعون قلبك (في الاسفل يرقصون، في الاسفل يعزفون موسيقاهم الحزينة جدا) ليقدموه غذاء مقدسا للالاه اليغور، للشمس التي تنقلت عبر غابات الليل والتي (بينما جسمك يا نقيب كيلير، جسمك المفتوق يتدحرج مضرجا بالدم على الدرج) تلمع الآن، تولد الآن ثانية في مكسيكو ــ طينو شتيتلان، أبدية، ظافرة بين البركانين.

نظر أندريس كنطانا الى الورقة «ريبولوثيون» التي أدخلها قبل قليل في الـ Smith-Corona. كتب بين خطين صغيرين الرقم 78 والتفت الى اليسار ليقرأ صفحة الـ The Population Bomb.

شغلته صرخة :

ـــ Ef, Bi, Ai : ارفع يديك، لا تتحرك ـــ

في التلفزيون ذي الصوت المرفوع الى اقصاه بالشقة المجاورة. قبالته هجم الفتيان الذين يكونون مجموعة روك على نفس الفقرة التي تدربوا عليها منذ الرابعة مساء :

Where's your momma gone
Where's your momma gone
Little baby don
Little baby don
Little baby don
Where's your momma gone
Where's your momma gone
Far, far, away.

قام، سد النافذة المفتوحة على الفناء الداخلي الكئيب، عاد الى الجلوس وقرأ من جديد :

SCENARIO II In 1979 the last non-Communist government in Latin America, that of Mexico, is replaced by a Chinesesupported military junta. The change occurs at the end of a decade of frustration and failure for the United States Famine has swept repeatedly across Asia, Africa, and South America Foodriots have often become anti-American riots.

فكر في اللفظ الذي يترجم كلمة Scenario أحسن. راجع القسم English-Spanish للـ New World. «رواية للاوبرا، قصة، خلاصة. ليس هذا سياق الكلام. ربما «احتمال، افتراض» ؟ ترك فراغا، أعاد قراءة الجملة الاولى وبسبابة يده اليسرى (اليمنى شلت بسبب حادث طفولي) كتب بسرعة :

في 1979 حلت محل (قلبت ؟) حكومة المكسيك (الحكومة المكسيكية ؟)، وهي الاخيرة اللا شيوعية التي كانت باقية في أميركا اللاتينية، لَجْنَة عسكرية مدعومة من طرف الصين (بدعم صيني ؟).

عند انتهائه قرأ الفقرة بصوت عال :

ـــ «حلت محل حكومة»، فظيع على السمع. «عية، نية، رية» كتابة سيئة، ترجمتي تزداد سوءا. أخرج الورقة وضغطها على الطاولة تحت ذراعه اليمنى ليمزقها بسبابة وابهام اليد اليسرى. رن التلفون.

ـــ نعـــم.
ـــ عفوا، أيمكن أن أتكلم مع السيد كنطانا ؟
ـــ نعم، أنا هو.
ـــ آه، ماذا جرى لك يا أندريس، كيف أنت، ما أخبارك.
ـــ عفوا، من يتكلم ؟
ـــ أما تتذكرني ؟ طبعا، ما تكلمنا منذ قرون، أنا اريبلايبث، أصدعك كعادتي.
ـــ ريكاردو، آه، فرحتني يا رجل. كيف وقعت المعجزة ؟
ـــ أنا مبحر في مشروع كبير جدا وأريد أن أعرف هل أعول عليك.
ـــ نعم، كيف لا، أي شيء هو ؟
ـــ اسمع، المسألة تحتاج الى أن نجتمع ونتكلم، لكن سأقول لك شيئا عنه لعلك تتشجع، سنؤسس مجلة في مكسيكيتو. رغم أن تقدير الاشياء صعب دائما، أظن أنها ستنجح نجاحا عظيما.
ـــ مجلة أدبية ؟
ـــ نعم جزئيا، المسألة هي أننا نريد أن تكون نوعا من ,Esquire أميركي إسباني. أو على الأصح، خليطا من Esquire و Play-boy و Penthouse و The New Yorker ولكن بإشعاع لاتيني.
ـــ آه، حسن إذن.
ـــ المشروع ممتاز هه ؟ المال موجود والمعلنون والتوزيع والصحافيون : كل شيء. الطبع سيكون في باناما والاشهار سيكون مختلفا من منطقة الى اخرى. سننشر ريبورتاجات وأخبارا واستجوابات وأبوابا ثابتة وامرأتين أو ثلاث نساء عاريات طبعا، ونريد كذلك أن ننشر في كل عدد قصة قصيرة لم تنشر من قبل.
ـــ بالنسبة للقصة الاولى كنا فكرنا أن نشري واحدة من غابو[3]... لكني الححت على أننا يجب أن نعرف على نطاق قاري بكاتب مكسيكي، مادامت المجلة تصنع هنا في مكسيكيتو، فيها هذا النقص، ماذا سنعمل. فَكَّرْتُ فيك طبعا، آ أستاذ الاساتذة، أرجو أن تشرفنا.
ـــ شكرا، شكرا جزيلا.
ـــ إذن، موافق ؟
ـــ نعم، طبعا... لكن المشكلة هي... هي أني ما عندي أية قصة جديدة، لا أكتب منذ مدة.
ـــ لماذا ؟
ـــ مم... مشاكل، شغل، الاشياء المعروفة باختصار.

ـــ اسمع، اجلس وفكر في قصتك ابتداء من الان بالذات، ولما تكملها جيء بها. أظن أنك لن تتأخر كثيرا. نحن نريد أن نخرج العدد الاول في اقرب وقت.

ـــ ولكن ...

ـــ اسمع، يجب أن أقول لك إن العمل الادبي يكافأ مكافأة حسنة. على الصعيد الدولي ليس شيئا كبيرا ولكن بالمقارنة مع ما يعطى عادة في مكسيكيتو تبدو المكافأة ثروة... طلبت أن يعطوك ستة الاف بيسو.

ـــ ستة آلاف بيسو على قصة ؟

ـــ المبلغ لا بأس به، أليس كذلك ؟ إذن ابدأ في الكتابة الان يا أستاذي العزيز. خذ معلوماتي من فضلك.

سجل أندريس العنوان والتلفون في الزاوية العليا اليمينية لجريدة يقرأ فيها :

يجب توثيق المكانة الممتازة التي يتمتع بها المكسيك داخل السياحة العالمية.

أكثر من عبارات الامتنان لريكاردو. ودعه. لم يرد الاستمرار في الترجمة. كان ينتظر أن تجيء هيلدا ليخبرها بالمعجزة.

فوجئت امرأته لما لم تجده شاكيا يائسا كعادته. أمام مثل ذاك الحماس لم تحاول أن تثنيه، مع أن محاولة بدء وانهاء قصة في ليلة واحدة بدت لها مفرطة الطموح.

لما ذهبت هيلدا لتنام جلس أندريس أمام الالة. كان لا يعمل في الليل منذ أعوام بعلة أنه اذا فعل سيزعج الجيران. الواقع هو أنه مر زمن طويل ما كتب فيه شيئا غير الترجمات والكتابات البيروقراطية. اكتشف أندريس لما كان طفلا ميله الى القصة، فقرر أن يكون كاتبا وأن يكرس نفسه لهذا الفن الادبي وحده. في مراهقته كانت معظم الكتب التي تكون مكتبته مجموعات قصص قصيرة. ضد تشتت اصدقائه كان هو يفتخر بأنه يكاد لا يقرأ قصائد ولا مقالات ولا روايات ولا مسرحيات ولا كتبا سياسية، وأنه بالعكس كان يدمن قراءة روائع القصص القصيرة التي كتبت في العالم.

لكن أباه كان يريد أن يورثه مكتبه فأرغمه على دراسة الهندسة المعمارية. سجل أندريس نفسه وتظاهر بأنه يحضر الدروس. كان في الواقع يذهب الى كلية الاداب كمستمع، وهناك اتصل بجماعة اربيلايث الذي كان ينشر مجلة «خندق».

كان ريكاردو يكتب قليلا، بخلاف أندريس : كانت كتاباته تقتصر على افتتاحيات دفاعا عن الحركة العمالية للسكك الحديدية وعن الثورة الكوبية، وعروض حادة ضد الكتب

التي كانت موضة. ومع ذلك، كان عنده مشروع «رواية كبيرة» ستكون بالنسبة للبرجوازيين المكسيكيين، حسب كلماته نفسها، ما كانت A la recherche du temps perdu[4] بالنسبة للفرنسيين.

ولكن قبل أن تقسم الحرب الادبية والاختلافات السياسية الجماعة بقليل، عرف أندريس هيلدا التي كان عمرها سبعة عشر عاما وكانت دائما جنب ريكاردو. تحابا وتكلما مع اربيلاييث بشجاعة وقررا الزواج. لم ينس أندريس قط مساء ذاك الـ 28 مارس عام 1959 الذي قبلت فيه هيلدا عرضه أن يتزوجا، ألقي القبض على دميتريو باييخو وبدأ الجيش والشرطة احتلال مقرات الحركة العمالية للسكك الحديدية.

قال الوالدان لأندريس إن من الخطإ أن يوقف دراسته، نظرا لأنه لا يستطيع أن يعيش بالكتابة. ورغم ذلك لم يعترضا على الزواج وأهدياه مبلغا ليتمكن من العيش في الشهور الأولى. وحاول أندريس، وكان ما زال يكتب كل ليلة، أن يفتح طريقه كسيناري للسينما الوطنية ومساهم في الصفحات الأدبية للجرائد. في أواخر 1960 كان مشروع الاعتماد على القلم في العيش قد انتهى بالفشل، كانت هيلدا قد فقدت ابنها الأول والوحيد، وخرجا بعد ذلك من الدار الصغيرة في «كويواكان» ليكتريا شقة داخلية مظلمة في شوارع طونالا. بعدئذ عملت هيلدا في boutique أختها بـ «لانونا روصا»، وحصل أندريس، وكان قد درس عاما ونصفا في المعهد المكسيكي ــ الامريكي الشمالي للعلاقات الثقافية، على وظيفة مترجم في دار متخصصة في الكتب التي تشجع الرابطة الامريكية و «الحلف من أجل النمو». لما سحق التضخم ميزانيته الهشة، تمكن أصدقاء أبيه من أن يحصلوا له على وظيفة مصحح أسلوب في «كتابة الأشغال العمومية».

نشر أندريس في السنين الاولى لزواجه كتابه الوحيد : تخريفات. باع 127 نسخة ــ كانت الطبعة مكونة من 2000 ــ وما فاز الا بتقريظ واحد (محاب) كتبه ريكاردو الذي لم ير الاثنين قط منذ افتراقهما. بعد ذلك بقليل كفت المجلات المكسيكية عن نشر القصص القصيرة وجعل ازدهار الرواية عدد المهتمين بكتابتها يقل قلة كبيرة. وشارك أندريس عبثا في مباراتين من أجل منحتين. فقد حماسه وأخذ يرجيء الى أجل غير محدد مشروعا لمجموعة جديدة من القصص.

كان يقول لهيلدا في الليل : ميلي في النهاية كان هو الكتابة وأنا أمارسها على كل حال /

يمكن أن تكون كتابة الترجمات والكتيبات وحتى التقارير البيروقراطية في مثل جودة قصة على كل حال أليس كذلك ؟ /

بمفهوم نخبوي قديم فقط يمكن أن نعتقد أن الشيء الوحيد الصالح هو المسمى أدب الخلق الست متفقة ؟ /

زيادة على هذا لا أريد أن أزاحم الكويتيين المكسيكيين المنتفخين بفعل الدعاية، روايات من الدرجة الرابعة كتلك أنا قادر على أن أكتب عشرا منها في العام الا ترين هذا ؟ /

ومع ذلك فهو الآن سيقبض ستة آلاف بيسو على قصة قصيرة واحدة : المبلغ الذي كان يقبضه في شهور بأمسية بكاملها قبالة الالةَ، مترجما تلك التي كان يسميها «الكُتُلا مقروءة»، يمكن أن يسدد ديونه في المكتب، أن يقتني أشياء كثيرة يحتاجها، أن يأخذ لنفسه عطلة ويسافر، أن يأكل في مطاعم. باختصار، بستة آلاف بيسو استعاد موهبته الادبية الخامدة وترك وراءه العلل التي كانت تخفي فشله الذاتي :

في التخلف لا يمكن أن تكون كاتبا /

الكتاب مات : الآن ما يهمني هو الـ mass-media[5] /

طيب، عندما يتعلق الامر بالكتابة كل شيء صالح، لن يضيع أي مجهود، تجربتي البيرقراطية ستكون لها نتائج سترين /

ماذنبي أنا إذا كنت خُلقت في بلاد الخراء هذه وانتميت الى جيل من السخيفين المخصيين /

اسمعي، لما تندثر جميع الكتب الناجحة اليوم في المكسيك سيقرأ أحدهم «تخريفات» وعندئذ /

بسبابة يده اليسرى بدأ يكتب بلا توقف، ما كتب قط بمثل ذاك المقدار من السلاسة. في الخامسة صباحا ذهب لينام وهو يحس بكمال ما عرفه من قبل. كان قد دخن علبة Viceroy وشرب أربع كوكاكولات ولكنه كتب «احتفال الجرأة».

أفاق أندريس في الحادية عشرة والربع، استحم وحلق ذقنه بسرعة، تلفن الى ريكاردو باحساس منتصر.

ـــ لا يمكن. كانت عندك مكتوبة.

ـــ والله لا : كتبتها هذه الليلة، سأصححها الآن وأنقلها الى المبيضة. أظن أنها جيدة. سنرى ماذا يكون رأيك فيها ليتها تعجب.

ـــ طبعا ستعجب.

ـــ متى أعطيك إياها.

ـــ هذه الليلة اذا اردت. أنتظرك في التاسعة بمكتبي.

التصحيحات، أعاد كتابة النص على الآلة، وفي الخامسة بدأ النص النهائي بلا شطب ولا حروف موضوعة على اخرى في ورق bond de Kimberley Klark[6]. هيلدا قالت له إنها ستذهب الى السينما مع أختها حتى لا تبقى وحدها أثناء ذهابه لتسليم القصة القصيرة.

في الثامنة والنصف ركب أندريس المترو في محطة «إنسورخينطيس» انتقل الى قطار آخر في «بالديراس» ونزل في «خواريث». دخل المكتب في الوقت المحدد. كانت الكاتبة جميلة جدا الى درجة أن أندريس خجل من سترته القطيفية وسرواله البني وصغره ويده الكسحاء. انتظر لحظات قبل أن يدخل الى المكتب المفرط الاضاءة لريكاردوا الذي قام من مكتبه ليعانقه.

كانت قد انصرمت اكثر من اثني عشر عاما منذ الـ 28 مارس 1959. ريكاردو كان شكله يجعل من الصعب التعرف عليه، ببدلة من نسيج شنتونك أزرق فيروزي ولحية أعلى الخدين كثيفة وشارب ثاباطي[7] ومنظار كالذي كان يستعمله شومان. أحس أندريس من جديد أنه في غير محله وسط ذلك المكان (نوافذ تطل على طريق الاشجار، حيطان مغطاة بصور جدرانية تُكبِّر مطبوعات حجرية قديمة للمدينة).

أدرك توا أن وضع اللاحنين الذي اتخذه ريكاردو، وضع الـ «كما كنا نقول البارحة»، كان متكلفا. اللاجدية الودود في التفلون كانت ستمحي الآن وقد أخذ اريبلاريث (وهو في موقف قوة) أندريس الى ساحته هو. تفحص أحدهما الآخر ثواني :

ـــ هو تبدل / حتى أنا / ما عمل أحد منا ماكان سيعمله / كلانا انتهى خائبا ولكن من كان نصيبه أسوأ /

بادر ريكاردو الى وضع حد للتوتر فعرض عليه أن يجلس على الكرسي المريح وجلس معه مقدما له سيجارة Benson & Hedges ثم تصفح المخطوطة التي أخرجها أندريس من محفظته.

ـــ حجمها مناسب تماما... والآن، اذا سمحت بلحيظة، سأقرأ قصتك مع مستر هردويك الـ editor in-chief[8] للمجلة. بعد ذلك أقدمه لك. هو رجل صاحب أفكار مهمة. عمل في الـ Time Magazine.

ـــ لا، من الأحسن الا تقدمه لي : ذلك يؤلمني.

ـــ يؤلمك ؟ لماذا ؟

ـــ لا أتكلم الانجليزية.

ـــ كيف ؟ لكنك ترجمت الاف الكتب.

ـــ ربما يكون السبب هو ذاك. هما شيئان مختلفان.

ـــ كيف أنت غريب. لن أتأخر.

لما بقي أندريس وحده أخذ يتصفح مجلة كان ريكاردو تركها على مكتبه. أثار انتباهه اعلان :

Located on 1500 feet of Revolcadero beach and rising 16 stores like an Aztec pyramid, the 40 million Acapulco Princess Hotel and Club de Golf opened as this jet set resorts largest and most lavish yet. Its 200 acres of gardens, pools waterfalls and fairways are ten minutes by car from International Airport.
The Princess has 777 rooms with private terraces overlooking either the palmtree dotted golf course or the turquoise Pacific. Guests specify either a green (golf) view or blue (Pacific) view when making reservations. One of the most spectacular hotels you will ever see,it has a lobby modeled after the great central court of an Aztec temple with sunlight and moonlight filteringthrough the translucent roof. The 20000 ft. lobby's atrium is complemented by 60 feet palm-trees, a flownig lagoon and mayan sculpture.(9)

لكنه كان قلقا، لم يكن قادرا على التركيز. دلف الى النافذة ونظر الى المدينة الوطئة، الى أضوائها الغامضة. قضى وقتا طويلا ينظر اليها، دخن سجائر كثيرة جدا، دخلت الكاتبة لتعرض عليه فنجان نيسكافي، ثم لتقدمه له، أخيرا لتودعه.

تأمل أندريس المطبوعات الحجرية المكبرة. أحس بحنين مستحيل نحو تلك المكسيكو الميتة قبل عشرات السنين من ولادته. تخيل قصة رجل مِنْ كثرة النظر إلى مطبوع حجري انتهى داخل هذا المطبوع، متحركا بين تلك الشخصيات المنتمية الى عوالم أخرى، ناظرا الى معاصريه الذين يرونه من القرن العشرين. ثم فكر، كما يفعل دائما، أن القصة ليست له، أن أحدهم كتبها، هو قرأها قبل زمن قصير لا يتذكر أين.

أو ربما لا : ربما اخترعها هناك بالذات، في ذاك المكتب الغريب قُبالة طريق الاشجار ـــ مكان غير مناسب لتحرير مجلة لها المال والطموح اللذان تكلم عنهما ريكاردو. لم يستطع بعد أن يستوعب لقاء صديق ـــ عدو السنين الغابرة :

أيكون ترك التفكير في هيلدا ؟
لو رآها هل تعجبه بنفس درجة إعجابه بها قبل اثنى عشر عاما ؟
ماذا كانت العلاقات الحقيقية بينهما ؟
لماذا لم تقل له هيلدا غير أشياء غامضة حول الموضوع ؟
وَ
أيكون ريكاردو كتب روايته ؟
أيتمكن من كتابتها في المستقبل ؟
لماذا كان رئيس التحرير القديم لـ «خندق» موجودا في ذاك المكتب ؟

أتكون البلاد فظيعة الى هذا الحد، أيكون العالم فظيعا الى هذا الحد، بحيث أن كل شيء قابل للفساد أو الافساد ولا سبيل لأن ينجو أحد ؟

وَ

ماذا يكون رأي ريكاردو فيه هو ؟ أكان يكرهه، يحتقره، يحسده ؟

إثناؤه على «تخريفات» أكان لاظهار علو نفسه، أم كان إهانة في منتهى الذكاء، أم رسالة مُشَفّرة الى هيلدا ؟

وَ

الستة آلاف بيسو أهي مكافأة لنبوغه ــ نبوغ قاص لا يذكره أحد نشر كتابا واحدا عاديا منسيا عن استحقاق ــ أم طريقة لمساعدة هيلدا، وهو يعرف

(من قال له ؟ هي نفسها؟)

المشاكلَ الزوجية، العشرة الزنخة الحزينة، المزاج العكر للذي انتهى الى الفشل، إهانة وجوب اثبات الحضور في «الاشغال العمومية»، أسلوب تراجعه الذي يزداد سوءا، مواعيد هيلدا في boutique أختها، الزبونات الغنيات اللواتي هي عبدة لهن ؟

كف أندريس عن طرح الاسئلة على نفسه. نظر الى ساعة الحائط : كانت قد مرت أكثر من ساعتين، كان ريكاردو مازال في مكتب مستر هردويك ــ يتناقشان حول القصة ؟ ــ التأخر لم يكن يمكن أن يفسّر سوى كأسواء التكهنات، لذلك لما ظهر ريكاردو من جديد بالنص في يده، أحس أندريس أنه سبق له أن عاش اللحظة وفي استطاعته أن يتلو التتمة.

ــ اسمع، سامحني، تأخرتُ قرونا، كنا نتكلم ونتكلم عن الـ historia(10).

حتى في الذكرى الغامضة لاندريس قال ريكاردو historia وليس قصة قصيرة. كلمة مأخوذة عن الانجليزية طبعا، غير مهم، ترجمة ذهنية لـ story. قال بخوف وبلا أمل، وهو متأكد من الجواب :

ــ وما رأيكما فيها ؟

ــ مم، ما عرفت كيف أقول لك هذا يا أستاذ. قصتك أعجبتني، مهمة، مكتوبة بطريقة لا بأس بها. لكن خفضت المستوى، لا شعوريا، وقد فكرت أنك تكاد تكتبها لمجلة بناء على طلب. أفهمت ؟ الاحداث مفرطة التسلسل، هي من نوع قصص الـ american magazine، لا ؟

نظرة اضطراب عوض الجواب /

أندريس يلوم نفسه على احساسه بأن تضييع الستة آلاف بيسو يؤلمه أكثر من الفشل الادبي /

لكن ريكاردو كان قد استمر :

ــ صدقني، أنا متأسف جدا على هذا. تمنيت من قلبي أن يقبلها المستر، أنت أول من كلمته في المسألة كما رأيت.

ــ لا داعي لأن تقدم اعتذارات يا رجل. قل إنها لا تصلح والسلام. المسألة بسيطة، مافيها مشاكل.

أغضبت اللهجة ريكاردو. قام بحركة ليضبط نفسه وأضاف :

ــ نعم هناك مشاكل : لا نتمكن من رؤية الشخصية. تنقصك الدقة. بعض الفقرات معقدة، الأخيرة مثلا، بفضل حبك تعويض جميع علامات التنقيط بالفاصلة. حكايتك لا واقعية بأسوإ معنى الكلمة، bookish جدا، أليس كذلك ؟ زيادة على هذا مسألة «الجوهر القبإسباني المدفون ولكنه حي» لم تعد شيئا جديدا. فوينطيس[11] عمل أشياء مهمة بهذا، ولما عملها استنفد الموضوع أيضا. طبعا أنت تراه من زاوية أخرى، ولكن على كل حال... والمسألة تتعقد باستعمال ضمير المخاطب المفرد. هو وسيلة فقدت جدتها ويزيد الشبه بفوينطيس، you know.

ــ الآن غدا كل شيء مكتوبا. كل قصة تخرج من قصة أخرى، أليس كذلك ؟ ولكن لنختصرْ، ما بقي لي ما أقوله، اعتراضاتك لا تجادل... إلا مسألة فوينطيس : ما قرأت قط كتابا له. لا أقرأ الأدب المكسيكي... لأجل الصحة الذهنية ــ أحس أندريس أنه يبدو مثيرا للشفقة، كان صوت كبريائه المغلوب يدل على فراغ.

ــ إذن أنت غالط في عدم قراءتك ما يكتبون جنبك.. اسمع، ذكّرتني كذلك بقصة لكورطاثار[12].

ــ «الليلة على ظهرها» ؟[13]

ــ تماما .

ــ يمكن .

ــ وما دمنا نتكلم عن التأثيرات أو السوابق، سمها كما تحب، فكرت في قصة لروبين داريو... أظن عنوانها «ويشيلوبوشْتلي» هي من آخر ماكتب، نشرها في غواتيمالا.

ــ أكَتَبَ داريو قصصا ؟ ما عندي أية فكرة. ظننت أنه كان شاعرا فقط... طيب، إذن... سأنسحب.

ــ لحيظة : بقيت الخاتمة. الحبكة بدت لمسترهردويك معادية لليانكيين والى جانب العالم الثالث بكيفية وحشية. وجد رموزا كثيرة.

ــ رموز ؟ ولكن ما هناك أي رمز : كل شيء مباشر جدا وواضح جدا.

ـــ ليس الى هذا الحد. النهاية يظهر أنها توحي بشيء غير موجود في النص. هي استعارة سياسية، لنقل رغبة حسنة، خداعة بشكل خفيف من جهة أخرى. كأنك تريد أن تفوز بتصفيقات «المستعجلين» في الجامعة أو تؤدي تحية حنينية لايامنا في «خندق» : «المكسيك ستقبر الامبريالية اليانكية، كما دفنت قبل قرن طموحات نابوليون الثالث» ـــ أليس كذلك ؟ اسمح لي أن أقول لك شَمُّكَ أخطأ. المستر هردويك ضد حرب فيتنام هو كذلك، طبعا، وأنت عارف أن موقفي ما تغير في جوهره : تغير العالم وهذا مختلف كل الاختلاف. ولكن كيف أمكن أن يخطر لك أن تجيء الى مجلة ممولة من هناك فوق بقصة تصب فيها رغبات في إفزاع السياحة ومضايقة اليانكيين...

ـــ ربما تكون على حق، ربما نصبت لنفسي فخاخا أنا وحدي لكي لا تُنشر قصتي.

ـــ يمكن، who knows، ولكن لنُحَلِّ الكلام بطريقة علم النفس لأننا سننتهي مكتشفين أن قصتك عدوان مكتوم ضدي أنا.

ـــ لا يا رجل، ماذا تقول ـــ تصنع الضحك مع ريكاردو، صمت قليلا وأضاف ـــ طيب، سأختفي، شكرا جزيلا على كل حال.

ـــ لا تأخذ الأمر هكذا، لا تكن لا معقولياً. أنتظِرْ شيئا آخر لك طبعا، ولو أنه لن يكون للعدد الأول. زيادة على ذلك، هذه المجلة لا تعمل على الطريقة المكسيكية : العمل الذي تكلف به أحدا تسدده. خذ... ألف بيسو فقط، أحسن من لاشيء... هيا، لا تخجل من قبولها، هكذا تعودوا في الولايات المتحدة، ولا يستاء أحد. آه، إذا ماكان عندك مانع خَلِّ لي الاصل هنا بعض الايام كي أري المدير إياه وأبرر التسديد. بعد ذلك أرسله إليك في البريد أو مع office-boy.

ـــ حسن جدا. وأنا أجيء لك الى هنا بقصيصة أخرى.

ـــ ممتاز. خذ الوقت الكافي، لا تتسرع وسترى كيف ستنجح مع اليانكيين هذه المرة. المسألة أنهم في منتهى الصرامة، مِهْنيون جدا، استكماليون جدا. في بعض الأحيان كانوا يأمرون بإعادة كتابة إشارة كتب بسيطة جدا ست مرات، تصور كيف يكون الأمر بالنسبة لنص ابداعي... اسمع، التسديد لا يهم : يمكن لك أن تنشر قصتك في أية مجلة «محلية».

ـــ لماذا، ليست جيدة. أحسن لنا أن ننساها... طيب، ستبقى ؟

ـــ نعم، يجب أن أتكلم في التلفون.

ـــ في هذه الساعة ؟ الوقت متأخر لذلك، لا؟

ـــ متأخر جدا، ولكن يجب أن نعمل بسير حثيث حتى نتمكن من أن نجعل عجلة المجلة تدور. طيب، عزيزي أندريس، أشكرك لأنك عملت ما كلفناك به، ومن فضلك سلم كثيرا على هيلدا.

ـــ كيف لا. شكرا لك أنت. تصبح على خير.

خرج أندريس الى الممر الغارق في الظلام حيث ماكان يشتعل غير الاضواء في لوح المصعد. ضغط الجرس وبعد قليل انفتح القفص المضاء إضاءة مزعجة بمقعد صبي المصعد فارغ. أغرق زر الطبقة الارضية. فتح له بابَ الشارع حارسٌ ناعس بوجه مخفي وراء كوفية، رجع أندريس الى ليل مكسيكو، مشى حتى محطة خواريث ونزل الى الساحة المقفرة.

فتح محفظته ليفتش عن شيء يقرأه ريثما يجيء المترو. ماوجد غير نسخة «احتفال الجرأة». مزقها ورماها في الزبل، كان الجو حارا في النفق. وفجأة غمره الهواء البارد الذي جلبه القطار الذي مالبث أن توقف بلا صوت. صعد أندريس الى العربة الثانية، انتقل مرة أخرى الى قطار آخر في «بالديراس» وجلس في مقعد فردي.

ماكان هناك غير ثلاثة ركاب غافين. أخرج أندريس من جيبه ورقة الألف بيسو، تأملها لحظة وخبأها من جديد، في زجاج الباب نظر الى انعكاسه وهو مطبوع بفعل ضوء العربة وظلام النفق.

ـــ وجه سخيف ـــ قال لنفسه ـــ لو التقيت مصادفة مع نفسي في الشارع لأحسست باحتقار لاحد له. لن يعرض نفسه لاهانة من هذا النوع غير أبله بحالي. كيف أشرح هذا لهيلدا، كل شيء شرير. لماذا لا يصطدم القطار. أتمنى أن أموت.

لما رأى الرجال الثلاثة يتأملونه، أدرك أنه كان تكلم بصوت عال، مومئا. حرف نظرته ولكي يشغل نفسه بشيء تناول ورقة الألف بيسو وخبأها في محفظته.

نزل في إنسورخينطيس لما كانت مكبرات الصوت تعلن أنها الرحلة الاخيرة وأن أبواب المحطة ستسد. ومع ذلك توقف اندريس ليقرأ كتابة محفورة بحد بركار أو مسمار على إعلان Raleigh :

مجرمون، لن ننسى طلاطيلولكو (14) وصان كوصمي (15)

ـــ كان يجب أن يقول «ولا صان كوصمي» ـــ صحح أندريس ذهنيا، بطريقة ميكانيكية، وهو يتقدم نحو المخرج. انطلق القطار الذي كان ذاهبا في اتجاه سرقسطة.

قبل أن يكتسب صف العربات السرعة رأى أندريس بين الركاب الاربعة للعربة الاخيرة رجلا أميركيا شماليا بلا أدنى شك : قميص أخضر، Rolleiflex، غليون سيليكاتي بين شفتيه.

صرخ أندريس كلمات لم يتمكن النقيب كيلير من سماعها فضاعت في النفق. بادر الى صعود الدرج مشتاقا الى الهواء الطلق للساحة. بيده الماهرة الوحيدة دفع الباب الدوارة. لم يستطع حتى أن يفتح فمه لما قبضه الرجال الثلاثة الذين كانوا له بالمرصاد.

ترجمة محمد العشيري

(1) اسم نوع من آلات التصوير

(2) صوريات

(3) هو غبريل غرثيا ماركيث

(4) رواية «البحث عن الزمن الضائع» لبروست.

(5) التلفزيون والراديو والسينما والصحف، إلخ.

(6) هو نوع من الورق الفاخر.

(7) نسبة الى إميليانو ثاباطا أحد قادة الثورة المكسيكية التي انفجرت عام 1910. كان له شارب كبير جدا.

(8) رئيس التحرير.

(9) واقعا على بعد 1500 قدم من شاطىء ريبولكاديرو، ومرتفعا بستة عشر طابقا مثل هرم أستيكي، يفتح فندق «أكابولكوبرانسس» ونادي الغولف اللذين كلفا 40 مليون دولار أبوابهما مثل مجموعة منتجعات النوافير هذه، أوسع وأغزر ما عرف في نوعه. أكراته (الاكري 4000 متر مربع) المكتان من الحدائق والمسابح ومساقط المياه والجداول تبعد عشر دقائق بالسيارة عن المطار الدولي.

يحتوي «البرانسس» على 777 غرفة لكل منها شرفة خاصة تطل على شاطىء الخليج المنقط بالنخيل أو على بحر الباسيفيك الفيروزي وتحدد الضيوف اثناء حجوزاتهم ما اذا كانوا يفضلون مشهدا اخضر (الخليج) أو أزرق (الباسيفيك). إنه واحد من اكثر الفنادق التي يمكن ان تروها اثارة، فهو يملك رواقا مصنوعا على غرار الساحة المركزية الكبرى في معبد أستيكي بسقفه الشفاف الذي تتلطف عبره أشعة الشمس وضوء القمر. ردهة الرواق التي يبلغ طولها 20000 قدم تكملها 60 قدما من النخيل، والاهوار المعلقة وبحيرات المايا.

(10) حكاية أو قصة

(11) روائي مكسيكي معروف.

(12) هو الكاتب الارجنتيني المعروف

(13) القصة موجودة في مجموعة «نهاية اللعب».

(14) مجزرة طلاطيلولكو، ارتكبتها الحكومة المكسيكية في صفوف الطلاب (50 قتيلا حسب المصادر الرسمية و 300 حسب مصادر أخرى)

(15) صان كوصمي : شارع في مكسيكو. وقع فيه اصطدام بين الطلاب والشرطة بهذا الشارع عام 1970.

ـــ خوسيه إميليو باتشيكو. ولد عام 1939 بالعاصمة المكسيكية. من مؤلفاته : ستموت بعيدا (رواية 1967) وبداية المتعة (قصص 1972) وهي المجموعة التي توجد بين قصصها القصة المترجمة هنا.

— ANTOLOGIA DE CUENTOS MEXICANOS TOMO 2. MARIA DEL CARMEN MILLAN. EDITORIAL NUEVA IMAGEN S.A. MEXICO. 1977.